جمع وإعداد

أيمن الشعبان



كيف أصبحت؟

أقوال في الزهد والورع والخوف من الله





كيف أصبحت؟

أقوال في الزهد والورع والخوف من اللَّه

الطبعة الأولى
لمكتبة الكوثر
الرياض ـ حي الفلاح ـ مقابل جامعة الإمام
ت: ٢٧٥٣٦٦٢ ـ فاكس: ٢٩٣١٦٩١

الأستاذ لخدمات الطباعة
ص.ب. ٨٧٢٩ الرياض ١١٤٩٢
alostazj@gmail.com
١٤٣٥هـ ـ ٢٠١٤م

كيف أصبحت؟

أقوال في الزهد والورع والخوف من اللَّه

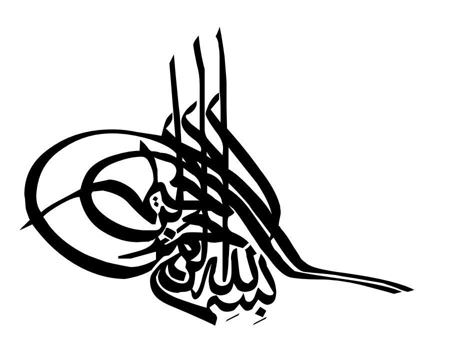
جمع وإعداد

أيمن الشعبان

@aiman_alshaban

مكتبة الكوثر
الرياض

الأستاذ لخدمات الطباعة
الرياض



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

من فضل الله على عبده أن يُسهّل له؛ طريق الإيمان والعمل الصالح والاستقامة والثبات على صراطه المستقيم، وأن يصرف عنه طُرُق الضلال والسوء والمنكرات، وأن ييسر له السبل والوسائل التي تعينه على ذلك، ومن أعظمها الاهتمام بتزكية النفوس وإصلاح القلوب، ما يؤدي لانقيادها لأوامر الله، وسرعة الاستجابة لما فيه الصلاح والفلاح والنجاح.

فلا حياة طيبة للقلوب ولا سعادة حقيقية للأبدان، إلا بالسعي الحثيث والعمل الدؤوب، لمرضاة الله علام الغيوب، وحسن الالتجاء إليه بالمراقبة الدائمة وصدق التوكل عليه، وإخلاص النية له والرغبة إليه والرهبة منه.

قال الفضيل بن عياض: من خاف الله دله الخوف على كل خير[1].

كان السلف الصالح رضوان الله عليهم، شديدي الخوف من عذاب الله ونقمته وسخطه؛ مع كثرة اجتهادهم في الطاعات والعبادات والقربات، وقد ضربوا أروع الأمثلة في ذلك، مع استحضارهم المستمر قوله تعالى: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾، وقوله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾.

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ميدانكم نفوسكم، فإن انتصرتم عليها كنتم على غيرها أقدر، وإن خذلتم فيها كنتم على غيرها أعجز، فجربوا معها الكفاح أولاً.

وكان سفيان الثوري ما ينام إلا أول الليل، ثم ينتفض فزعًا مرعوبًا ينادي: النار النار، شغلني ذكر النار عن النوم والشهوات[2].

فعلم السلف زادهم خشية وتضرعا إلى الله، وطاعتهم وعبادتهم زادتهم قربا وأُنسا بالله، وسَمتهم وزهدهم

---

(١) الزواجر عن اقتراف الكبائر.

(٢) مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار.

وتخليهم عن الدنيا زادهم رفعة وتواضعا وحُلما، وتفقدهم لأحوالهم وعدم أمنهم من مكر الله، زادهم شرفا وعزا ومكانة.

عباد الله كم أخلى الموت دارًا، وترك المعمور قفارًا، كم أوقد من الأسف في الجوانح نارا، وكم أذاق الغصص المرة مرارا[١].

إخواني: لو تَفكَّرت النُّفُوسُ فِيمَا بَينَ يَدَيهَا، وَتَذَكَّرَت حِسَابهَا فيما لها وعليها، لبعث حزنها بريد دمها إليها؛ أما يحق البُكاء لمن طالَ عِصيانهُ: نهاره في المعاصي، وقد طال خُسرانه، وليله في الخطايا؛ فقد خفَّ ميزانه، وبين يديه الموت الشديد فيه من العذاب ألوانه[٢].

يا من قد بلغ أربعين سنة، وكلُّ عمره نوم وسِنة، يا متعبًا في جمع المال بدنه؟ ثم لا يدري لمن قد أخزنه؟ أعلم هذه النفس الممتحنة، إنها بكسبها مرتهنة، ألا ليعتبر المغرور بمن قد دفنه؟ كم رأى جبارا قد فارق مسكنه؟ أيا راحلين بالإقامة، يا هالكين بالسلامة، أين من أخذ صفو ما

(١) مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار.

(٢) مواعظ ابن الجوزي.

أنتم في كدره؟ أما وعظكم في سيره بسيره؟ بلى قد حمل بريد الإنذار أخبارهم، وأراكم تصفح الآثار آثارهم[1].

فهذه أقوال مجموعة وكلمات نيرة مرصوعة، هي أجوبة لمن قيل له: كيف أصبحت؟ لها دلالات ومعاني غزيرة، في الزهد والورع والتقوى والخوف من الله والاستعداد للقاءه، نحن بأمس الحاجة لها في دنيا الفتن والشهوات وانكباب الناس على الملذات.

أسأل الله أن تكون ـ لمن قالها وجمعها وقرأها ووعى دلالتها فسعى لأن تكون له زادا في طريقه إلى الله ـ خير معين يقربه لرب العالمين.

والحمد لله أولا وآخرا، ظاهرا وباطنا، وصلى الله على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

أيمن الشعبان

صنعاء ـ اليمن

جمادى الأولى ١٤٣٤هـ

(١) موسوعة الأخلاق والزهد والرقائق.

١ ـ قال عليه الصلاة والسلام لرجل: كيف أصبحت يا فلان؟ قال: أحمد الله إليك يا رسول الله! فقال رسول الله هذا الذي أردت منك[١].

٢ ـ قيل للنبي صلى الله عليه وسلم كيف أصبحت قال: بخير؛ من قوم لم يشهدوا جنازة، ولم يعودوا مريضا[٢].

٣ ـ عن جابر بن عبد الله قال: قلت: كيف أصبحت؟ يا رسول الله! قال: بخير، من رجل لم يصبح صائما ولم يعد سقيما[٣].

٤ ـ عن شداد بن أوس والصنابحي أنهما دخلا على

(١) السلسلة الصحيحة برقم **٢٩٥٢**.
(٢) حسن، انظر صحيح الأدب المفرد برقم ٨٦٧.
(٣) حسن لغيره، صحيح ابن ماجة برقم **٣٠٠٦**.

رجل مريض يعودانه، فقالا له: كيف أصبحت؟! قال: أصبحت بنعمة، فقال له شداد: أبشر بكفارات السيئات، وحط الخطايا؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله (عز وجل) يقول: إذا أنا ابتليت عبدا من عبادي مؤمنا، فحمدني على ما ابتليته؛ فإنه يقوم من مضجعه ذلك كيوم ولدته أمه من الخطايا، ويقول الرب (تبارك وتعالى): أنا قيدت عبدي وابتليته، فأجروا له ما كنتم تجرون له وهو صحيح[1].

فضل عظيم من العزيز الكريم، فالعاقل يصبر على المصاب وينال الأجر ويجري عليه القدر، أما من يجزع فيجري عليه القدر ويُحرم الأجر!

---

(١) حسن، انظر تخريج المشكاة برقم ١٥٧٩.

شداد بن أوس بن ثابت الأنصاري، أبا يعلى وأبا عبد الرحمن، صحابي جليل توفي سنة ٥٨هـ في مدينة القدس.

والصُنابحيّ: هو عبد الرحمن بن عسيلة بن عسل بن عسال المرادي من اليمن، مخضرم مختلف في صحبته إلا أن الراجح أنه تابعي ثقة، لأنه وصل المدينة بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام بثلاث أو أربع ليال، وتوفي في دمشق سنة ٧٥هـ.

٥ ـ قيل لعيسى بن مريم كيف أصبحت يا روح الله؟ قال: أصبحت وربي من فوقي، والنار أمامي، والموت في طلبي، لا أملك ما أرجو، ولا أطيق دفع ما أكره، فأي فقير أفقر مني؟![1]

يُعلّمنا عيسى عليه السلام درس رائع، في الزهد بهذه الدنيا الفانية، وشدة الافتقار إلى الله.

٦ ـ قيل لأبي بكر الصديق رضي الله عنه: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت عبداً ذليلاً لربٍ جليلٍ، أصبحت مأموراً بأمره[2].

تواضع كبير، وانقياد منقطع النظير، للعليم القدير، من أبي بكر رضي الله عنه وأرضاه.

٧ ـ قيل لعلي رضي الله عنه كيف أصبحت؟ قال: أصبحت ضعيفاً مُذنباً، آكل رزقي، وأنتظر أجلي[3].

رضي الله عن علي القائل: يا دُنيا يا دُنيا، إليَّ تَعَرَّضتِ أم

---

(١) المصدر السابق.

(٢) موقع المختار الإسلامي.

(٣) مروج الذهب.

لي تَشوَّقتِ، هيهاتَ هيهاتَ، لا حانَ جنبكِ، قد بَتَتُّكِ ثلاثا لا رجعة لي فيكِ، عَيشُكِ حقير، وخَطَرُكِ يسير، وعُمرُكِ قصير، آه من بُعدِ الدَّارِ، وقلةِ الزادِ، ووحشة الطريق[1].

٨ ـ كَانَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها إِذَا سُئِلَتْ: كَيْفَ أَصْبَحْتِ؟ قَالَتْ: صَالِحَةً، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ[2].

نعمة الدين والصلاح، أعظم من كنوز الدنيا جميعا.

٩ ـ قال عمر لحذيفة رضي الله عنهما: كيف أصبحت؟ فقال: أصبحت أحب الفتنة وأكره الحق، فقال عمر: ما هذا؟ فقال: أحب ولدي وأكره الموت[3].

دخل قيس بن أبي حازم على أحد خلفاء بني أمية، فقال الخليفة: ما لنا نكره الموت يا أبا حازم؟ قال: لأنكم أخربتم آخرتكم، وعمّرتم دنياكم، فأنتم تكرهون أن تنقلبوا من العمران إلى الخراب[4].

---

(١) تاريخ دمشق.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد.

(٣) تفسير ابن عطية.

(٤) تاريخ دمشق لابن عساكر.

١٠ ـ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: دخلنا على عبد الله بن مسعود نعوده في مرضه، فقلنا: كيف أصبحت أبا عبد الرحمن؟ قال: أصبحنا بنعمة الله إخوانا، قلنا: كيف تجدك يا أبا عبد الرحمن؟ قال: أجد قلبي مطمئنا بالإيمان، قلنا: ما تشتكي أبا عبد الرحمن؟ قال: أشتكي ذنوبي وخطاياي، قلنا: ما تشتهي شيئا[١].

المؤمن يجد حرقة من أدنى الذنوب، ويرى ذنوبه كالجبال يوشك أن تقع عليه، من شدة خوفه من عذاب الله، أما المنافق فلا يرى ذنوبه شيئا! نسأل الله العافية.

قال الحسن البصري: ابن آدم! إن المؤمن لا يُصبح إلا خائفا، وإن كان مُحسنا، ولا يصلح أن يكون إلا كذلك، لأنه بين مخافتين: ذنب مضى لا يدري ما الله صانع به، وأجلٍ قد بقي لا يدري ما الله مبتليه فيه، فرحم الله عبدا فكّر واعتبر، واستبصر فأبصر، ونهى النفس عن الهوى[٢].

---

(١) المحتضرين لابن أبي الدنيا.

(٢) آداب الحسن البصري وزهده ومواعظه، ابن الجوزي.

للدنيا هموم كثيرة، لكن هم الطاعة واجتناب المعصية، والاستعداد للموت أعظم الهموم، لمن آمن واتقى.

١١ ـ دخل ابن عباس على عمرو بن العاص رضي الله عنهم فقال: كيف أصبحت يا أبا عبد الله قال: أصبحت وقد ضيعت من ديني كثيرا، وأصلحت من دنياي قليلا فلو كان الذي أصلحت هو الذي أفسدت، والذي أفسدت هو الذي أصلحت لقد فزت ولو كان ينفعني أن أطلب طلبت، ولو كان ينجيني أن أهرب هربت، فصرت كالمجنون بين السماء والأرض، لا أرتقي بيدين، ولا أهبط برجلين، فعظني بعظة أنتفع بها يا ابن عباس[١].

الخاسر من عمّر دنياه وخرّب آخرته، وكما قال يحيى بن معاذ رحمه الله: الدنيا أميرُ من طلبها، وخادمُ من تركها، الدنيا طالبة ومطلوبة، فمن طلبها رفضته، ومن رفضها طلبته[٢].

---

(١) تاريخ دمشق.

(٢) حلية الأولياء.

وإن هذا الموت قد أضر بالدنيا ففضحها، فو الله ما وجد بعد ذلك مرحا[1].

١٢ ـ مر رجل من مراد على أويس القرني[2] فقال: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت أحمد الله. قال: كيف الزمان عليك؟ قال: كيف الزمان على رجل إن أصبح ظن أن لا يمسي، وإن أمسى ظن أن لا يصبح، فمبشر بالجنة أو مبشر بالنار، يا أخا مراد! إن الموت وذكره لم يدع لمؤمن فرحا، وإن علمه بحقوق الله لم يترك له في ماله فضة ولا ذهبا، وإن قيامه بالحق لم يترك له صديقا[3].

الموت ما ذُكر في قليلٍ إلا كثّره، ولا كثير إلا قلّله، ولا

---

(١) من أخبار الحسن البصري، عبد الغني المقدسي.

(٢) هو أبو عمرو أويس بن عامر بن جزء بن مالك القرني المرادي، من اليمن من سادات التابعين والأولياء الصالحين، قال عليه الصلاة والسلام (يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ، مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَم، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ). صحيح مسلم.

(٣) حلية الأولياء.

عظيم إلا حقره، ولا حقير إلا عظمه، ولا صغير إلا كبره، ولا كبير إلا صغّره.

عن زيد بن تميم يقول: مَنْ لَمْ يَرْدَعْهُ الْقُرْآنُ وَالْمَوْتُ، ثُمَّ تَنَاطَحَتِ الْجِبَالُ بَيْنَ يَدَيْهِ لَمْ يُرْدَعْ[1].

١٣ ـ كَانَ الرَّبِيعُ[2] إِذَا قِيلَ لَهُ كَيْفَ أَصْبَحْتَ؟ قَالَ:

أَصْبَحْنَا ضُعَفَاءَ مُذْنِبِينَ نَأْكُلُ أَرْزَاقَنَا وَنَنْتَظِرُ آجَالَنَا[3].

قال الحسن البصري: اهتمام العبد بذنبه داعٍ إلى تركه، وندمُهُ عليه داعٍ لتوبته، ولا يزال العبد يهتم بالذنب حتى يكون له أنفع من بعض حسناته[4].

قال داود الطائي: لو أملت أن أعيش شهرا لرأيتني قد أتيت عظيما، وكيف أؤمل ذلك وأرى الفجائع تغشى الخلق في ساعات الليل والنهار[5].

---

(١) الزهد لأحمد بن حنبل.

(٢) هو ربيع بن خثيم بن عائذ الكوفي، أحد الأعلام التابعين ثقة عابد مخضرم، توفي سنة ٦١هـ.

(٣) التاسع من المشيخة البغدادية لأبي طاهر السلفي.

(٤) آداب الحسن البصري وزهده ومواعظه، ابن الجوزي.

(٥) قصر الأمل لابن أبي الدنيا.

١٤ ـ قال رجل لعمر بن عبد العزيز[١] يا أمير المؤمنين كيف أصبحت؟ قال: أصبحت بطيئا بطينا متلوثا في الخطايا أتمنى على الله الأماني[٢].

كان عمر رضي الله عنه يضرب قدميه بالدِّرة إذا جنَّه الليل ويقول لنفسه: ماذا عملت اليوم؟[٣]

قال ابن القيم: صلاح القلب بمحاسبة النفس، وفساده بإهمالها والاسترسال معها[٤].

١٥ ـ دخل المزني[٥] على الشافعي في اليوم الذي مات فيه وقال له: كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ؟ قَالَ: أَصْبَحْتُ مِنَ الدُّنْيَا رَاحِلا، وَلإِخْوَانِي مُفَارِقًا، وَبِكَأْسِ الْمَنِيَّةِ شَارِبًا، فَلا وَاللَّهِ مَا أَدْرِي، إِلَى

---

(١) هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم القرشي الأموي المدني الدمشقي، أمير المؤمنين الخليفة العادل، ثقة مأمون، توفي في الشام سنة ١٠١هـ.

(٢) المصدر السابق.

(٣) موسوعة الأخلاق والزهد والرقائق.

(٤) إغاثة اللهفان.

(٥) هو إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل بن عمرو بن مسلم المزني المصري، تلميذ الشافعي إمام علامة علم زاهد، توفي سنة ٢٦٤.

الْجَنَّةِ أُسَاقُ فَأُهَنِّيهَا، أَمْ إِلَى النَّارِ فَأُعَزِّيهَا، وَأَنْشَأَ يَقُولُ:

مَّا قَسَى قَلْبِي وَضَاقَتْ مَذَاهِبِي
جَعَلْتُ رَجَائِي نَحْوَ عَفْوِك سُلَّمًا
تَعَاظَمَنِي ذَنْبِي فَلَمَّا قَرَنْتُهُ
بِعَفْوِكَ رَبِّي كَانَ عَفْوُكَ أَعْظَمَا
وَمَا زِلْتَ ذَا عَفْوٍ عَنِ الذَّنْبِ لَمْ
تَزَلْ تَجُودُ وَتَعْفُو مِنْةً وَتَكْرُمَا
وَلَوْلاكَ لَمْ يَغْوَ بِإِبْلِيسَ عَابِد
وَكَيْفَ وَقَدْ أَغْوَى صَفِيَّكَ آدَمَا(١)

قال علي رضي الله عنه لبعض ولده: يا بني خَفِ الله خوفًا ترى أنك لو أتيته بحسنات أهل الأرض لم يتقبلها منك، وارجُ الله رجاء ترى أنك لو أتيته بسيئات أهل الأرض غفرها لك(٢).

قال لقمان لابنه: يا بُني خَفِ الله خوفا يحول بينك وبين

---

(١) مصافحات الإمام مسلم والنسائي.

(٢) إحياء علوم الدين.

الرجاء، وارجه رجاء يحول بينك وبين الخوف، قال: فقال: أي أبه، إنما لي قلب واحد إذا ألزمته الخوف شغله عن الرجاء، وإذا ألزمته الرجاء شغله عن الخوف، قال: أي بُني إن المؤمن له قلب كقلبين يرجو الله عز وجل بأحدثهما ويخافه بالآخر[1].

١٦ ـ قال أَبُو هِشَامٍ الرِّفَاعِيُّ[2]: سَمِعْتُ رَجُلا قَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِدْرِيسَ[3]: كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ؟ فَقَالَ: أَصْبَحْتُ لا يَحْمِلُ بَعْضِي بَعْضًا، كَأَنَّمَا كَانَ شَبَابِي قَرْضًا[4].

كان حال سلفنا الصالح كما قال أبو حفص: الخوف سوط الله، يقوّم به الشاردين عن بابه[5].

---

(١) حسن الظن بالله لابن أبي الدنيا.

(٢) هو محمد بن يزيد بن محمد بن كثير بن رفاعة بن سماعة الرفاعي الكوفي، قاضي بغداد توفي سنة ٢٤٨هـ.

(٣) هو عبد الله بن إدريس بن يزيد بن عبد الرحمن، الإمام الحافظ المقرئ القدوة، شيخ الإسلام أبو محمد الأودي الكوفي، لما نزل به الموت بكت بنته، فقال: لا تبكي، قد ختمت في هذا البيت أربعة آلاف ختمة.

(٤) السادس من فوائد أبي عثمان البحيري.

(٥) الرسالة القشيرية.

١٧ ـ جاء رجل إلى الحسن البصري[١]، فقال له: يا أبا سعيد، كيف أصبحت؟ قال: بخير، قال: فكيف حالك؟ فتبسم الحسن وقال: سألتني عن حالي، ثم قال: ما ظنك بناس ركبوا السفينة، حتى إذا توسطوا البحر كسرت سفينتهم، فتعلق كل إنسان منهم بخشبة، على أي حال هم؟ قال الرجل: حال شديدة، قال: فأنا أشد حالا منهم[٢].

على الرغم من مكانة ومنزلة وزهد الحسن وورعه، إلا أنه يغلب عليه جانب الخوف للتزود من التقوى، والاستكثار من طاعة الله والأعمال الصالحة.

١٨ ـ قيل لذي النون بن إبراهيم[٣]: كيف أصبحت؟ فقال: أصبحت وبنا من نعم الله عز وجل ما لا

(١) هو الحسن بن أبي الحسن يسار، أبو سعيد مولى زيد بن ثابت الأنصاري، من أئمة التابعين، كان سيد أهل زمانه علما وعملا، توفي سنة ١١٠هـ.
(٢) أخبار الشيوخ وأخلاقهم.
(٣) ذو النون المصري هو ثوبان بن إبراهيم، شيخ الديار المصرية، كان عالما واعظا حكيما فصيحا، توفي سنة ٢٤٦هـ.

يحصى مع كثير ما نعصي فلا ندري على ما نشكر،
على جميل ما نشر أم على قبيح ما ستر[1].

نِعم الله علينا كثيرة، وآلائه جسيمة، وبدلا من شكرها واستعمالها في طاعة الله، إلا أننا نبارز الله سبحانه بالمعاصي، نستغفر الله ونتوب إليه.

١٩ ـ قيل لمحمد بن واسع[2]: كيف أصبحت؟ قال:
سيئ عملي، قريب أجلي، بعيد أملي[3].

كان السلف الصالح رضوان الله عليهم، مع صلاحهم وتقواهم إلا أنهم من شدة ورعهم وخوفهم من الله عز وجل، يزدرون أعمالهم ويستعدون لآجالهم!

قال الحفاظ: رأينا الإمام أحمد نزل إلى سوق بغداد، فاشترى حزمة من الحطب، وجعلها على كتفه، فلما عرفه الناس، ترك أهل المتاجر متاجرهم، وأهل الدكاكين دكاكينهم، وتوقف المارة في طرقهم، يسلمون

---

(١) الزهد الكبير للبيهقي.
(٢) هو محمد بن واسع بن جابر الأزدي البصري، يلقب بزين القراء أحد الأعلام الإمام الرباني القدوة الثقة، توفي سنة ١٢٣هـ.
(٣) الطيوريات لأبي طاهر السلفي.

عليه، ويقولون: نحمل عنك الحطب، فهز يده، واحمر وجهه، ودمعت عيناه وقال: نحن قوم مساكين، لولا ستر الله لافتضحنا، نحن قوم مساكين لولا ستر الله لافتضحنا[1].

٢٠ ـ وجاء رجل إلى محمد بن واسع، فقال: كيف أصبحت؟ قال: ما ظنك برجل كل يوم يرحل إلى الآخرة[2].

الإكثار من ذكر الموت واستحضاره كان دأب الصالحين، قال أبو الدرداء رضي الله عنه: أضحكني ثلاث: مؤمل دنيا والموت يطلبه، وغافل وليس بمغفول عنه، وضاحك بملء فيه ولا يدري أأرضى الله أم أسخطه[3].

٢١ ـ سُئل ابن سريح[4] في مرضه: كيف أصبحت؟ فقال: كما قال الشاعر:

---

(١) موسوعة البحوث والمقالات العلمية.

(٢) الجزء العشرون من المشيخة البغدادية.

(٣) الزهد لابن المبارك.

(٤) هو أحمد بن عمر ابن سريح البغدادي الفقيه الشافعي، توفي سنة ٣٠٦هـ.

مَـــرِيــضٌ غَـــابَ عَـــنْـــهُ أَقْـــرَبُـــوهُ
وَأَسْـلَـمَـهُ الْـمُـدَاوِي لِـلْـحَـمِـيـمِ
ثُمَّ مَاتَ مِنْ لَيْلَتِهِ[1].

اشتكى أبو الدرداء رضي الله عنه، فدخل عليه أصحابه، فقالوا: ما تشتكي؟ قال: أشتكي ذنوبي، قالوا: فما تشتهي؟ قال: أشتهي الجنة، قالوا: أفلا ندعو لك طبيبا؟ قال: هو أضجعني[2].

٢٢ ـ قال رجل للأسود بن سالم[3]: كيف أصبحت؟ قال: بِشَرّ، وقعت عيني اليوم على مبتدع[4].

٢٣ ـ قيل لشريح[5] كيف أصبحت فقال: أصبحت ونصف الناس علي غضاب[6].

---

(١) أحاديث السلفي عن جعفر السراج.
(٢) صفة الصفوة.
(٣) الأسود بن سالم المتعبد، من رواة الحديث عن سفيان بن عيينة.
(٤) جمع الجيوش والدساكر على ابن عساكر.
(٥) هو شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم الكندي، المعروف «شريح القاضي»، تابعي جليل قاضي الكوفة فقيه ثقة.
(٦) غريب الحديث للخطابي.

كيف لا يغضب عليه نصف الناس، وكان عدلا بأحكامه نزيها بقضاءه، حتى أنه سجن أحد أبناءه لأنه كفل رجل وفرّ، وكان رحمه الله ينقل إليه الطعام للسجن بنفسه!

٢٤ ـ جاء بكر بن عبد الله المزني[١]، إلى أبي تميمة الهجيمي[٢]، فقال له: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت بين نعمتين أميل بينهما، لا أدري أيتهما أفضل ما ستره الله علي، فلا أخاف أن يرميني به أحد، ومودة رزقني من الناس بعزة ربي ما بلغه عملي[٣].

٢٥ ـ وقف بعض المنجمين على أبي بكر الأصم[٤]، فقال له: كيف أصبحت يا أبا بكر؟ قال: أصبحت

---

(١) هو الإمام القدوة الواعظ الحجة، أبو عبد الله المزني المصري، أحد الأعلام، ثقة ثبتا كثير الحديث حجة فقيها، كان مجاب الدعوة، توفي سنة ١٠٦هـ.

(٢) هو طريف بن مجالد أبو تميمة الهجيمي مولاهم البصري، كان رجلا من اليمن، من رجال صحيح البخاري، توفي سنة ٩٥هـ.

(٣) شعب الإيمان للبيهقي.

(٤) هو شيخ المعتزلة، كان دينا وقورا صبورا على الفقر، منقبضا عن الدولة، فيه ميل عن الإمام علي، توفي سنة ٢٠١هـ.

أغدو على الاستخارة لله تعالى، وأنت تغدو على الطالع، وأصبحت أرجو الله، وأنت ترجو المشتري، وأصبحت أخاف الله عز وجل، وأنت تخاف زحل[1].

٢٦ ـ قال رجل لإبراهيم بن أدهم[2]: كيف أصبحت؟ قال: بخير ما لم يحمل مؤنتي غيري[3].

٢٧ ـ عن صعدي بْنُ أَبِي الْحَجَرِ، قَالَ: كُنَّا نَدْخُلُ عَلَى الْمُغِيرَةِ[4] فَنَقُولُ كَيْفَ أَصْبَحْتَ؟ قَالَ: أَصْبَحْنَا مُغْرَقِينَ فِي النِّعَمِ مُوَقَّرِينَ مِنَ الشُّكْرِ يَتَحَبَّبُ إِلَيْنَا رَبُّنَا وَهُوَ عَنَّا غَنِيٌّ، وَنَتَمَقَّتُ إِلَيْهِ وَنَحْنُ إِلَيْهِ مُحْتَاجُونَ[5].

---

(١) القول في علم النجوم للخطيب البغدادي.

(٢) هو إبراهيم بن أدهم ابن منصور بن يزيد بن جابر، القدوة الإمام العارف، سيد الزهاد، نزيل الشام، ثقة مأمون، توفي سنة ١٦٢هـ.

(٣) إصلاح المال.

(٤) هو ابن أبي عامر بن مسعود بن معتب، من كبار الصحابة أمير الكوفة أولي الشجاعة والمكيدة شهد بيعة الرضوان، كان رجلا طوالا مهيبا، كان داهية ويقال له: مغيرة الرأي، توفي سنة ٥٠هـ.

(٥) حلية الأولياء.

كلمات وعبر رائعة، كم نحن بحاجة لتأملها في كل وقت وحين، فإذا كان هذا حالهم مع قربهم من عهد النبوة فماذا عسانا أن نقول؟! نسأل الله العافية.

٢٨ ـ قال رجل لسفيان الثوري[١]: كيف أصبحت يا أبا عبدالله؟ فقال: تسألني كيف أصبحت؟ وقد والله تَحَيَّرْتُ اللهم أبرم لهذه الأمة أمرا رشيدا، تُعِزُّ فيه وليك، وَتُذِلُّ فيه عدوك، ويؤمر فيه بالمعروف، وينهى فيه عن المنكر، ثم تنفس سفيان وقال: كم من مؤمن رأيناه مات غيظا[٢].

كان همّ الدين والأمة يشغل قلوب وعقول وتفكير سلفنا الصالح، فكيف لو رأى أحوالنا وأمورنا هذه الأيام؟!! نسأل الله أن لا يفتننا في ديننا وأن لا يجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا إلى النار مصيرنا.

---

(١) هو سفيان بن سعيد من ثور همدان، هو شيخ الإسلام إمام حافظ سيد العلماء في زمانه، أبو عبد الله الثوري الكوفي المجتهد توفي سنة ١٦١هـ.

(٢) حلية الأولياء.

٢٩ ـ قال رجل للفضيل[1]: كيف أصبحت يا أبا علي؟ فكان يثقل عليه كيف أصبحت وكيف أمسيت، فقال: (في عافية) فقال: كيف حالك فقال: عن أي حال تسأل عن حال الدنيا، أو حال الآخرة؟ إن كنت تسأل عن حال الدنيا، فإن الدنيا قد مالت بنا وذهبت بنا كل مذهب وإن كنت تسأل عن حال الآخرة، فكيف ترى حال من كثرت ذنوبه وضعف عمله، وفني عمره، ولم يتزود لمعاده ولم يتأهب للموت ولم يخضع للموت ولم يتشمر للموت ولم يتزين للموت وتزين للدنيا هيه[2].

سبحان الله الفضيل إمام الزهد والورع والتقوى، يقول «الدنيا قد مالت بنا» فماذا نحن قائلون؟!! وكان الفضيل رحمه الله يقول من شدة خوفه وخشيته من لقاء ربه: لو

---

(١) هو ابن مسعود بن بشر الإمام القدوة الثبت شيخ الإسلام، أبو علي التميمي اليربوعي الخراساني، ثقة نبيلا فاضلا عابدا ورعا كثير الحديث، وله مواعظ وقدم في التقوى، وكان يمتنع من جوائز الملوك، توفي سنة ١٨٧هـ.

(٢) المصدر السابق.

خيرت بين أن أعيش كلبا وأموت كلبا، ولا أرى يوم القيامة، لاخترت ذلك!!

٣٠ ـ قال رجل لعبد العزيز بن أبي رواد[١]: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت والله في غفلة عظيمة عن الموت، مع ذنوب كثيرة قد أحاطت بي، وأجل يسرع كل يوم في عمري، ومؤمل لست أدري على ما أهجم ثم بكى[٢].

قال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: لأَنْ أَدْمَعَ دَمْعَةً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَصَدَّقَ بِأَلْفِ دِينَار[٣].

٣١ ـ قيل لأبي الفيض ذي النون المصري: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت تعبا إن نفعني تعبي والموت يَجِدُّ في طلبي[٤].

---

(١) عبد العزيز بن أبي رواد، الأزدي المكي شيخ الحرم، أحد الأئمة العباد، وكان أعبد الناس، حتى قيل أنه ذهب بصره عشرين سنة ولم يعلم به أهله ولا ولده، لكنه كان مرجئ، توفي سنة ١٥٩هـ.

(٢) المصدر السابق.

(٣) شعب الإيمان للبيهقي.

(٤) المصدر السابق.

يُذكر أن الإمام الشافعي رحمه الله كان يعظ أخًا له في الله ويخوفه بالله، فقال: يا أخي إن الدنيا دحض مزلة، ودار مذلة، عمرانها إلى الخراب صائر، وعامرها إلى القبور زائر، شملها على الفرقة موقوف، وغناها إلى الفقر مصروف، الإكثار فيها إعسار والإعسار فيها يسار، فافزع إلى الله وارض برزق الله. لا تستسلف من دار بقائك في دار فنائك، فإن عيشك فيءٌ زائل، وجدارٌ مائل، أكثر من عملك، وقصر من أملك[1].

٣٢ ـ وقيل لذي النون المصري: كيف أصبحت؟ فقال: أصبحت مقيما على ذنب ونعمة، فلا أدري من الذنب أستغفر أم على النعمة أشكر[2].

٣٣ ـ وقيل لذي النون المصري: كيف أصبحت؟قال أصبحت بطالا عن العبادة متلوثا بالمعاصي أتمنى منازل الأبرار وأعمل عمل الأشرار[3].

---

(١) نهاية الإرب في فنون الأدب، لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

٣٤ ـ عن سعيد بن الحكم، قال: سمعت ذا النون، يقول: دخلت على متعبدة، فقلت لها: كيف أصبحت؟ قالت: أصبحت من الدنيا على فناء، مبادرة للجهاز، متأهبة لهول يوم الجواز، أعترف لله على ما أنعم بتقصيري عن شكرها، وأقر بضعفي عن إحصائها وشكرها، قد غفلت القلوب عنه وهو منشئها، وأدبرت عنه النفوس وهو يناديها، فسبحانه ما أمهله للأنام مع تواتر الأيادي والإنعام[١].

كان سلفنا الصالح يكثرون من نكران الذات، مع أن أعمالهم الصالحة كالجبال، ونحن اليوم - للأسف الشديد - أعمالنا قليلة ولسان حالنا: أدينا الواجبات وزيادة!!

٣٥ ـ قال ذو النون: دخلت على بعض متعبدي العرب، فقلت له: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت في بحابح نعمه أجول، وبلسان فضله وإحسانه أقول، نعماؤه علي باطنة وظاهرة، وغصون رياض مواهبه علي مشرقة زاهرة[٢].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

إن النعمة موصلة بالشكر، والشكر معلق بالمزيد، وهما مقرونان في قرن، فلن ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشكر من العبد[1].

وقال بعض السلف: لا تضركم دنياً شكرتموها.

٣٦ ـ كان رجل بالمصيصة ذاهب نصفه الأسفل لم يبق منه إلا روحه في بعض جسده طريحا على سرير مثقوب فدخل عليه داخل فقال: كيف أصبحت يا أبا محمد؟ قال: ملك الدنيا منقطع إليه، ما لي إليه من حاجة إلا أن يتوفاني على الإسلام[2].

من أعظم نِعَمِ الله على العبد؛ أن يميته على الإسلام، فقد كان السلف الصالح يخافون من مكر الله بهم، ويسألون حسن الخاتمة، ويستعيذون من سوء الخاتمة.

وكان مالك بن دينار يتقنع بعباء أو بكساء ثم يقول: إله

---

(١) الشكر لابن أبي الدنيا.

(٢) نهاية الإرب في فنون الأدب، لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري.

مالك قد علمت ساكن الجنة من ساكن النار، فأي الدارين دار مالك؟ وأي الرجلين مالك؟ ثم يبكى![1]

٣٧ ـ قال رجل لعكرمة[2]: كيف أصبحت يا أبا عبدالله؟ قال عارم: أصبحت بشر أجرب مبسورا[3].

٣٨ ـ قال معاوية لعبد الرحمن بن الحارث بن أمية الأصغر[4] وقد كف بصره: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت وقد ذهب خيري وبقي شري[5].

٣٩ ـ قال أبو جعفر: سمعت إبراهيم بن عيسى السكري إذا قيل له: كيف أصبحت يا أبا إسحاق؟ قال: أصبحنا في أجل منقوص، وعمل محفوظ، والموت في رقابنا، والنار من ورائنا، ولا ندري ما يفعل الله بنا[6].

---

(١) صفة الصفوة.

(٢) العلامة الحافظ المفسر، أبو عبد الله القرشي، مولى ابن عباس، توفي سنة ١٠٥هـ.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد، أي فيه جرب وبواسير.

(٤) هو عبد الرحمن بن الحارث بن أمية الأصغر ابن عبد شمس بن عبد مناف، من صحابة رسول الله عليه الصلاة والسلام.

(٥) أنساب الأشراف.

(٦) الكنى والأسماء للدولابي.

قال الحسن البصري: الدنيا ثلاثة أيام: أما أمس فقد ذهب بما فيه، وأما غدًا فلعلّك لا تدركه، واليوم فلك فاعمل فيه[١].

٤٠ ـ قال عبد الواحد بن زيد[٢]: لقيت فرقد السبخي[٣]، فقلت: كيف أصبحت يا أبا يعقوب؟ فبكى، ثم قال: كيف يصبح من الموت أمامه، والقبر مورده، والقيامة بين يديه، ثم خر مغشيا عليه[٤].

عندما أكثروا من ذكر الموت، واستعدوا للقبر، وتجهزوا ليوم القيامة، انعكس ذلك على حياتهم زهدا وورعا وخوفا من لقاء الله.

---

(١) كلام الليالي والأيام لابن أبي الدنيا.

(٢) عبد الواحد بن زيد، الزاهد الواعظ القدوة، ذات مرة كان يعظ ومات أربعة في مجلسه، وقد صلى الصبح بوضوء العتمة أربعين سنة، توفي سنة ١٥٠هـ.

(٣) فرقد بن يعقوب السبخي أبو يعقوب البصري، أحد العباد الأعلام الزهاد، كان نصرانيا ثم أسلم وكان حرفته الحياكة، مات في البصرة سنة ١٣١هـ.

(٤) المصدر السابق.

تـالـلَّـهِ لـو عـاشَ الـفـتـى فـي دهــرِه

ألــفًــا مِــنَ الأعــوامِ مَــالِــكَ أمــرِهِ

مــتــلــذذًا مــعــهــم بــكــلِّ لــذيــذةٍ

مــتــنــعــمًــا بــالــعــيــشِ مــدةَ عُــمــرِهِ

لا يَــعــتــريــهِ الــهــمُّ طــولَ حــيــاتِــه

كــلا.. ولا تَــرِدُ الــهــمــومُ بــصــدرِهِ

كـــان ذلـــك كـــلُّـــهُ فـــي أنْ يَـــفـــي

بــمــبــيــتِ أولِ لــيــلــةٍ فــي قــبــرِهِ

٤١ ـ كتب حكيم إلى حكيم: يا أخي كيف أصبحت؟ فكتب إليه: أصبحت وبنا من نعم اللَّه ما لا نُحصيه، مع كثرة ما نعصيه، فما ندري أيها نشكر، جميل ما ينشر، أو قبيح ما يستر[1].

كيف لنا أن نتخيل الحياة من حولنا؛ لو أن لكل ذنب رائحة معينة! أو صُحف ملك الشمال تُنشر للعيان فيفتضح حالنا! أليست نعمة جليلة تستحق الشكر ليل

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب.

نهار، أن ستر الله علينا القبائح؟!! لا إله إلا الله، كم نحن غافلون!

٤٢ ـ لما أتي الحجاج بعبد الرحمن بن عائذ[١] أسيرا يوم الجماجم، وكان به عارفا فقال له الحجاج: عبد الرحمن بن عائذ كيف أصبحت؟ قال: كما لا يريد الله، ولا يريد الشيطان، ولا أريد، قال له: ما تقول ويحك؟ قال: نعم، يريد الله أن أكون عابدا زاهدا ما أنا بذاك، ويريد الشيطان أن أكون فاسقا مارقا والله ما أنا بذاك، وأريد أن أكون مخلى سربي آمنا في أهلي والله ما أنا بذاك، فقال له الحجاج: مولد شامي وأدب عراقي وجيراننا إذ كنا في الطائف خلوا عنه[٢].

مع شدة عبادتهم وزهدهم، كانوا متواضعين لله منيبين إليه، يرجون رحمته ويخافون عذابه.

---

(١) هو عبد الرحمن بن عائذ الأزدي الثمالي الحمصي، من كبار علماء التابعين، ثقة طلابة للعلم، وكان فيمن خرج مع القراء على الحجاج، فأُسر يوم الجماجم فعفا عنه لجلالته.

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر.

٤٣ ـ قال أبو نصر بن طلاب[(١)]: دخلت على القاضي محمد بن الخضر وقد اشتد حاله في المرض فقلت: كيف أصبحت؟ فأنشدني:

أرى نفسي تضيق به المجاري
ونبضي غير متسق النظام
وعيني تنكر العواد حولي
وأضجر من مناجاة الغلام[(٢)]

٤٤ ـ عن دهشم العجلي، قَالَ: لقيت يزيد الرقاشي[(٣)]، فقلت له: كيف أصبحت رحمك اللَّه؟ قَالَ: كيف يصبح من تعتد عليه أنفاسه، ويحصى لانقضاء

---

(١) هو حسين بن محمد بن أحمد بن الحسين بن أحمد بن طلاب القرشي الدمشقي، ثقة مأمون، توفي سنة ٤٧٠هـ.

(٢) المصدر السابق.

(٣) هو يزيد بن أبان الرقاشي أبو عمرو البصري القاص من صلحاء وزهاد أهل البصرة، ولكنه ضعيف الحديث وقال ابن الجوزي في المدهش عنه: وكان يزيد الرقاشي يقول في بكائه: يا يزيد من يبكي بعدك عنك من يترضى ربك لك.

أجله، لا يدري عَلَى خير يقدم، أم عَلَى شر؟ قَالَ: ثم ذرفت عيناه[1].

لما حضر الموت يزيد الرقاشي قرأ قوله تعالى ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۖ﴾ ألا إن الأعمال محضرة، والأجور مكملة، ولكل ساع ما سعى، وغاية الدنيا وأهلها إلى الموت، ثم بكى، وقال: يا من القبر مسكنه، وبين يدي الله موقفه، والنار غداً مورده، ماذا قدمت لنفسك؟ ماذا أعددت لمصرعك؟ ما أعددت لوقوفك بين يدي ربك؟[2]

٤٥ ـ قال أبو سليمان الداراني[3]: يا أم هارون[4] كيف أصبحت؟ قالت: كيف أصبح من قلبه في يد غيره[5].

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر.

(٢) المصدر السابق.

(٣) أبو سليمان الداراني الإمام الكبير، زاهد العصر، توفي سنة ٢١٥هـ.

(٤) هي أم هارون الخراسانية، من النسوة المتعبدات كانت أستاذة أبي سليمان الداراني، والذي قال عنها: ما كنت أرى في الشام مثلها.

(٥) المصدر السابق.

٤٦ ـ قال المروزي[١]: دخلت يوما عَلَى أَحْمَد، فقلت: كيف أصبحت؟ فقال: كيف أصبح من ربه يطالبه بأداء الفرض، ونبيه يطالبه بأداء السنة، والملكان يطالبانه بتصحيح العمل، ونفسه تطالبه بهواها، وإبليس يطالبه بالفحشاء، وملك الموت يطالبه بقبض روحه، وعياله يطالبونه بنفقتهم؟[٢]

٤٧ ـ عن عارم بن الفضل[٣]، قال: قلت لزهير البابي[٤]: كيف أصبحت يا أبا عبد الرحمن؟ قال: أصبحت بعدك في مسير إلى الآخرة، منتقلا عن الدنيا بشدتها ورخائها[٥].

---

(١) محمد بن نصر ابن الحجاج المروزي الإمام، شيخ الإسلام أبو عبد الله الحافظ، ولد ببغداد ونشأ في نيسابور واستوطن سمرقند، إمام عصره بالحديث بلا مدافعة، وكان أعلمهم باختلاف العلماء على الإطلاق، توفي سنة ٢٩٤هـ.

(٢) طبقات الحنابلة.

(٣) عارم محمد بن الفضل، الحافظ الثبت الإمام أبو النعمان السدوسي البصري، وقيل عنه كان أخشعهم صلاة، مات سنة ٢٢٤هـ.

(٤) الداعي المحابي أبو عبد الرحمن زهير بن نعيم البابي، كان أغلب أحواله عليه الصبر واليقين، فأيد بالنصر والتمكين.

(٥) الفرج بعد الشدة.

لما مرض سيبويه مرضه الذي مات فيه، جعل يجود بنفسه ويقول:

يــؤمــل دنــيــا لــتــبــقــى لــه
فــمــات الــمــؤمــل قــبــل الأمــل
حــثــيــثــاً يــرى أصــول الــنــخــيــل
فــعــاش الــفــســيــل ومــات الــرجــل[1]

٤٨ ـ عَنْ هِشَامِ بْنِ حَسَّانَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الضُّرَيْسِ عُمَارَةَ بْنَ حَرْبٍ، يُقَالُ لَهُ: كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا أَبَا الضُّرَيْسِ؟ فَيَقُولُ: إِنْ نَجَوْتُ مِنَ النَّارِ فَأَنَا بِخَيْرٍ[2].

٤٩ ـ قال رجل للحسن البصري: يا أبا سعيد كيف أنت وكيف حالك؟ قال: كيف حال من أمسى وأصبح ينتظر الموت، لا يدري ما يصنع الله به[3].

قال أبو الدرداء رضي الله عنه: لو تعلمون ما أنتم لاقون بعد الموت ما أكلتم طعامًا ولا شربتم شرابًا على شهوة

---

(١) معجم الأدباء لياقوت الحموي.
(٢) الزهد الكبير للبيهقي.
(٣) روضة العقلاء لابن حبان.

أبدا، ولا دخلتم بيتًا تستظلون في ظله أبدا، ولبرزتم إلى الصعدات تكدمون صدوركم وتبكون على أنفسكم[1].

٥٠ ـ قال رجل لميمون بن مهران[2]: كيف أصبحت؟

قال: أصبحت مستوحشا كم من خلق كريم وفعل جميل قد درس تحت التراب[3].

قال حامد اللفاف: من أكثر من ذكر الموت! أكرم بثلاثة أشياء: تعجيل التوبة، وقناعة القوت، ونشاط العبادة، ومن نسي الموت، عوقب بثلاثة أشياء، تسويف التوبة، وترك الرضا بالكفاف، والتكاسل في العبادة.

٥١ ـ عن أبي أمامة[4]، أنه سمع رجلا يقول لرجل من المسلمين: كيف أصبحت يا صلع؟ فقال: يا ابن أخي، لقد كنت عن لعنة الملائكة غنيا[5].

---

(١) تاريخ دمشق.

(٢) الإمام الحجة، عالم الجزيرة ومفتيها، أبو أيوب الجزري الرقي، ومن فضلاء زمانه، توفي سنة ١١٧هـ.

(٣) مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا.

(٤) صاحب رسول الله عليه الصلاة والسلام، ونزيل حمص، توفي سنة ٨٦هـ.

(٥) مساوئ الأخلاق للخرائطي، بسند ضعيف، وقد أخرجه في باب ما يكره من التنابز بالألقاب.

٥٢ ـ كان أبو الدرداء رضي الله عنه إذا قيل له كيف أصبحت؟ قال: أصبحت بخير إن نجوت من النار[(١)].

صدق من قال: كل بلاء دون النار عافية.

٥٣ ـ كان سفيان الثوري إذا قيل له كيف أصبحت يقول: أصبحت أشكر ذا إلى ذا وأذم ذا إلى ذا وأفر من ذا إلى ذا[(٢)].

٥٤ ـ قيل لسًفْيان الثَّوْري: كيف أصبحتَ؟ قال: أصبحتُ في دار حارتْ فيها الأدِلاء[(٣)].

٥٥ ـ قيل لمالك بن دينار[(٤)] كيف أصبحت؟ قال: أصبحت في عمر ينقص وذنوب تزيد[(٥)].

ومن شدة خوفه من عذاب الله، وزهده وتقواه، كان يقول: وددت أن الله يجمع الخلائق، فيأذن لي أن أسجد بين يديه، فأعرف أنه قد رضي عني، فيقول لي: كن ترابا.

---

(١) إحياء علوم الدين.

(٢) المصدر السابق.

(٣) العقد الفريد.

(٤) علم العلماء الأبرار، معدود في ثقات التابعين، ومن أعيان كتبة المصاحف، توفي سنة ١٢٧هـ.

(٥) المصدر السابق.

٥٦ ـ قيل لبعض الحكماء كيف أصبحت؟ قال: أصبحت لا أرضى حياتي لمماتي ولا نفسي لربي[١].

٥٧ ـ قيل لحكيم كيف أصبحت؟ قال: أصبحت آكل رزق ربي وأطيع عدوه إبليس[٢].

وهذا لسان حال كثير من الناس!

٥٨ ـ قيل لحامد اللفاف كيف أصبحت؟ قال: أصبحت أشتهي عافية يوم إلى الليل فقيل له: ألست في عافية في كل الأيام؟ فقال: العافية يوم لا أعصي الله تعالى فيه[٣].

كان شعارهم ضياع الدنيا مع سلامة الدين أعظم النعم، أما الآن كثير من المسلمين صار شعارهم للأسف الشديد؛ بقاء الدنيا مع ضياع الدين أهم الأولويات!

٥٩ ـ عن ابن عون[٤]، قال: مررت بعامر

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) هو عبد الله بن عون ابن أرطبان، الإمام القدوة عالم البصرة، أبو عون المزني، كان من أئمة العلم والعمل، وعن عثمان البتي قال: لم تر عيناي مثل ابن عون، وكان من سادات أهل زمانه عبادة وفضلاً=

الشعبي[1] وهو جالس بفنائه فقلت: كيف أنت؟ فقال: كان شريح إذا قيل له: كيف أنت؟ قال: بنعمة ومد إصبعه السبابة إلى السماء[2].

٦٠ ـ عن جرير عن مغيرة قال: سمعت إبراهيم وسلم عليه فقال: وعليكم، فقال: كيف أنت؟ قال: بنعمة من الله[3].

٦١ ـ وقيل لرجل وهو يجود بنفسه: ما حالك؟ فقال: وما حال من يريد سفرا بعيدا بلا زاد، ويدخل قبرا موحشا بلا مؤنس، وينطلق إلى ملك عدل بلا حجة!![4]

قُرِئَ على قبر:

أنـــا فـــي الـــقـــبـــر وحـــيـــد

قـــد تـــبـــرأ الأهـــل مـــنـــي

=وورعاً ونسكاً وصلابة في السنة وشدة على أهل البدع، توفي سنة ١٥١هـ.

(١) عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كبار علامة العصر، أبو عمرو الهمداني الشعبي، توفي سنة ١٠٤هـ.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة.

(٣) المصدر السابق.

(٤) إحياء علوم الدين.

أســـــلـــــمـــــونـــــي بـــــذنـــــوبـــــي

خـــبـــتُ إن لـــم تـــعـــف عـــنـــي[1]

٦٢ ـ قيل لحسان بن أبي سنان[2]: ما حالك؟ قال: ما حال من يموت ثم يبعث ثم يحاسب!![3]

كان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول: ألا أخبركم بيوم فقري؟ يوم أُوضع في قبري[4].

هذا حال هذا الجيل الفريد، فكيف بحال المقصرين؟!

٦٣ ـ قال ابن سيرين[5] لرجل: كيف حالك؟ فقال: وما حال من عليه خمسمائة درهم دينا وهو معيل، فدخل ابن سيرين منزله فأخرج له ألف درهم فدفعها إليه وقال: خمسمائة اقض بها دينك،

---

(١) المدهش لابن الجوزي.

(٢) حسان بن أبي سنان البصري، أحد زهاد التابعين.

(٣) المصدر السابق.

(٤) الزهر الفاتح في ذكر من تنزه عن الذنوب والقبائح، ابن الجوزي.

(٥) هو محمد بن سيرين الإمام، شيخ الإسلام، أبو بكر الأنصاري البصري، حسن العلم بالفرائض والقضاء والحساب، توفي سنة ١١٠هـ.

وخمسمائة عُد بها على نفسك وعيالك ولم يكن عنده غيرها[١].

الله أكبر كم نحن بحاجة لهذا الإيثار وربنا سبحانه أثنى على هذا الصنف من الناس إذ يقول: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ﴾.

٦٤ ـ قيل للشعبي في نائبة كيف أصبحت؟ قال: بين نعمتين: خير منشور وشر مستور[٢].

٦٥ ـ قال الجنيد[٣]: دخلت على السري[٤] يوما فقلت له: كيف أصبحت؟ فأنشأ يقول:

ما في النهار ولا في الليل لي فرج

فلا أبالي أطال الليل أم قصرا

(١) المصدر السابق.

(٢) أدب الدنيا والدين.

(٣) الجنيد ابن محمد بن الجنيد النهاوندي ثم البغدادي، شيخ الصوفية، أتقن العلم، ثم أقبل على شأنه، وتعبد ونطق بالحكمة، سنة **٢٩٧**هـ.

(٤) السري بن المغلس السقطي، شيخ الإسلام أبو الحسن البغدادي، توفي سنة **٢٥٣**هـ.

ثم قال ليس عند ربكم ليل ولا نهار[١].

٦٦ ـ قال بعضهم لأبي العيناء[٢] ـ ورآه ضعيفا من الكبر ـ كيف أصبحت أبا العيناء؟ فقال أصبحت في الداء الذي يتمناه الناس[٣].

قال النابغة الذبياني[٤]:

الْـمَـرْءُ يَـهْـوَى أَنْ يَـعِـيـشَ
وَطُـولُ عُـمْـرٍ قَـدْ يَـضُـرُّهْ
وَتَـتَـابُـعُ الأَيَّـامِ حَـتَّـى
مَـا يَـرَى شَـيْـئًـا يَـسُـرُّهْ
تَـفْـنَـى بَـشَـاشَـتُـهُ وَيَـبْـقَـى
بَـعْـدَ حُـلْـوِ الْـعَـيْـشِ مُـرُّهْ

---

(١) مدارج السالكين، يشير إلى أنه غير متطلع إلى الأوقات بل هو مع الذي يقدر الليل والنهار.
(٢) هو العلامة الإخباري أبو العيناء محمد بن القاسم بن خلاد البصري، الضرير النديم، ولد بالأحواز ونشأ بالبصرة، مات سنة ٢٨٣هـ.
(٣) الآداب النافعة بالألفاظ المختارة الجامعة.
(٤) تاريخ الإسلام للذهبي.

٦٧ ـ أن بردة الصريمية[١] كانت إذا قيل لها: كيف أصبحت؟ تقول: أصبحنا أضيافا منتجعين، بأرض غربة، ننتظر إجابة الداعي[٢].

٦٨ ـ قيل لأعرابي: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت وأرى كلّ شيءٍ مني في إدبارٍ وإدباري في إقبال[٣].

٦٩ ـ قيل لسعيد بن السائب[٤]: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت أنتظر الموت على غير عدة[٥].

كان أبو الدرداء رضي الله عنه إذا رأى جنازة قال: اغْدُوا فَإِنَّا رَائِحُونَ، أَوْ رُوحُوا فَإِنَّا غَادُونَ، مَوْعِظَةٌ بَلِيغَةٌ، وَغَفْلَةٌ

---

(١) من عابدات البصرة، وكانت تبكي حتى يرحمها من رآها، ولقد ذهب بصرها فلاموها على ذلك فقالت: لو رأيتم بكاء العصاة يوم القيامة لقلتم أن هذا البكاء كاللعب!!

(٢) صفة الصفوة.

(٣) أخبار الظراف والمتماجنين لابن الجوزي.

(٤) سعيد بن السائب بن يسار الثقفي الطائفي ابن يسار، ثقة عابد، توفي سنة ١٧١هـ.

(٥) صفة الصفوة.

سَرِيعَةً، كَفَى بِالْمَوْتِ وَاعِظًا، يَذْهَبُ الأَوَّلُ فَالأَوَّلُ، وَيَبْقَى الآخِرُ لا حِلْمَ لَهُ[1].

٧٠ ـ قيل لأعرابيّ قد أَخذته كَبْرة السِّن: كيف أصبحتَ؟ فقال: أصبحتُ تقيِّدني الشَّعرةُ، وأَعثُر بالبَعْرة، قد أقام الدهرُ صَعَرِي[2]، بعد أن أقمتُ صَعَره[3].

٧١ ـ قيل لبعض العارفين: كيف أصبحت؟ قال: أسفاً على أمسي، كارهاً ليومي، مهناً لغدي[4].

٧٢ ـ قيل لبعضهم: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت والدنيا غمي، والآخرة همي[5].

قال ابن عباس: ما اتعظت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل كتاب كتب إليَّ علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أما بعد: فإن الإنسان يسره درك ما لم يكن ليفوته،

---

(١) حلية الأولياء.

(٢) صعر الرجل أي مال عنقه.

(٣) العقد الفريد.

(٤) الكشكول.

(٥) المصدر السابق.

ويسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه، فلا تكن بما نلت من دنياك فرحاً، ولا بما فاتك منها ترحاً، ولا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل، ويرجو التوبة بطول الأمل، فكان وقد.. والسلام[1].

٧٣ ـ سئل الشاعر الأهوازي: كيف أصبحت؟ فقال:

أصبحت والله أظرف الناس، وأشعر الناس، وآدب الناس**!** فقال السائل: أسكت حتى يقول الناس ذلك**!** فقال: أنا منذ ثلاثين سنة أنتظر الناس وليسوا يقولون[2].

٧٤ ـ قال الربيع لأبي العتاهية[3]: كيف أصبحت؟ قال:

أصبحت واللَّه في مضيقٍ

فهل سبيلٌ إلى طريق؟

---

(١) مجالس من أمالي أبي عبد الله بن منده.

(٢) محاضرات الأدباء.

(٣) أبو العتاهية إسماعيل بن قاسم بن سويد العنزي، رأس الشعراء الأديب الصالح، نزيل بغداد، وقال في المواعظ والزهد فأجاد، توفي سنة ٢١١هـ.

أفٍ لـــدنـــيـــا تـــلاعـــبـــت بـــي

تـــلاعـــب الـــمـــوج بـــالـــغـــريـــق[1]

٧٥ ـ قيل لأعرابي: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت أحتسب على الله الحسنة، ولا أحتسب على نفسي السيئة[2].

من علامات النفاق أن يفتخر الإنسان بحسنات قليلة، ويُغفِل جبال من السيئات!!

٧٦ ـ قيل للحسن البصري: كيف أصبحت؟ فقال: كيف يصبحُ مَنْ هو غَرَضٌ لثلاثةِ أسْهُمٍ: سهمُ رزيّةٍ، وسهمُ بليّةٍ، وسهمُ منيَّةٍ[3].

٧٧ ـ قال رجل لإبراهيم النخعي[4]: كيف أصبحت؟ فقال: إن كان من رأيك أن تسد خلتي، وتقضي

---

(١) المصدر السابق.

(٢) نثر الدر

(٣) الذخائر والعبقريات.

(٤) الإمام الحافظ فقيه العراق، أبو عمران، إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود بن عمرو بن ربيعة النخعي اليمانيثم الكوفي، أحد الأعلام، كان رجلا صالحا فقيها متوقيا، قليل التكلف، مات سنة ٩٦هـ.

ديني، وتكسو عورتي أخبرتك، وإلا ليس المسؤول بأعجب من السائل[١].

٧٨ ـ قيل لأعرابي: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت وأرى غروب الشمس وطلوعها يأخذان مني كل يوم جزءاً، وكم عسى أن يدوم عدد ليس له مدد حتى يبيد وينفد[٢].

قال الحسن البصري: ابْنُ آدَمَ إِنَّمَا أَنْتَ أَيَّامٌ، كُلَّمَا ذَهَبَ يَوْمٌ ذَهَبَ مِنْكَ[٣].

٧٩ ـ قيل لأعرابي: كيف أصبحت؟ قال: كيف يصبح من يفنى ببقائه[٤].

قال محمد بن أبي رجاء القرشي: مررت بدار تبنى فقلت:

ترى لمن يبني الدار يبغي نزولها

فما يبلغ البنيان أو يسكن القبر

قال محمد بن الحارث: رأيت الحسن صلّى على جنازة،

---

(١) البصائر والذخائر.

(٢) المصدر السابق.

(٣) حلية الأولياء.

(٤) التذكرة الحمدونية.

فكبّر عليها أربعاً، ثم اطلع في القبر فقال: يا لها من عظة! يا لها من عظة ـ ومدّ صوته بها ـ لو وافقت قلباً حياً.

ثم قال: إن الموت فضح الدنيا، فلم يدع لذي لب فرحاً. فرحم الله امرءاً أخذ منها قوتاً مبلغاً، وهضم الفضل ليوم فقره وحاجته، فكأن ذلك اليوم قد أظلكم[1]!

٨٠ ـ قيل لأعرابي: كيف أصبحت؟ فقال: أصبحت بين حاذف وقاذف، وبين ستوق[2] وزائف[3].

٨١ ـ وعن عتبة المعروف بالغلام ـ وسمي بذلك لكثرة خدمته ـ أنه كان مقيماً بالجبانة، فبلغ خبره علي بن سلمان أمير العراق، فخرج حتى وقف عليه فسلم فرفع رأسه فرد عليه فقال له الأمير: كيف أصبحت؟ قال: متفكراً في القدوم على الله بخير أم بشر، ثم بكى وأطرق رأسه منكساً إلى الأرض،

(١) قصر الأمل لابن أبي الدنيا.
(٢) درهم رديء مغشوش ملبس بالفضة.
(٣) الصداقة والصديق.

فقال: الأمير قد أمرت لك بألف درهم فقال: قبلتها على أن تقضيني معها حاجة، فقال: وقد سر بذلك وما هي؟ قال: تقبل مني ما وهبتني فقال قد فعلت وانصرف[1].

٨٢ ـ قيل لعبد الله بن المبارك[2]: كيف أصبحت؟ قال: إنك تسأل الهارب عن باب ربه عن عافية صباحه، إنما العافية للثوري وأصحابه[3].

٨٣ ـ قيل لإسماعيل بن صبيح[4] وهو مريض: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت تحيرت على الأطباء[5].

---

(١) تزيين الأسواق في أخبار العشاق.

(٢) عبد الله بن المبارك بن واضح الإمام شيخ الإسلام، عالم زمانه، وأمير الأتقياء في وقته أبو عبد الرحمن الحنظلي، أحد الأعلام، أكثر من الترحال والتطواف إلى أن مات في طلب العلم، وفي الغزو والتجارة، والإنفاق على الإخوان في الله، وتجهيزهم معه إلى الحج، توفي سنة ١٨١هـ.

(٣) ربيع الأبرار.

(٤) إسماعيل بن صبيح اليشكري الكوفي، توفي سنة ٢١٧هـ.

(٥) المصدر السابق.

٨٤ ـ قيل لناسك: كيف أصبحت؟ قال: بنعمة من الله، وثناء من الناس لم يبلغه عملي[١].

من يستبشر بثناء الناس عليه وهو دون ذلك فليعلم أن في قلبه مرض، والزاهد الحقيقي من يزدري نفسه وإن كان المدح حقيقي فيه.

٨٥ ـ قال مسهر لعطية العوفي[٢]: كيف أصبحت؟ قال: في سلامة مشوبة بداء، وعافية داعية إلى فناء[٣].

يروى أن رجلا جاء إلى عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، فقال: يا أم المؤمنين إن بي داء فهل عندك دواء؟ قالت: وما داؤك؟ قال: القسوة، قالت: بئس الداء داؤك، عُدِ المرضى، واشهد الجنائز، وتوقع الموت[٤].

٨٦ ـ قال عبد العزيز المتكلم: رأيت بهلولاً[٥] يوماً

---

(١) المصدر السابق.

(٢) عطية بن سعد بن جنادة العوفي الجدلي الكوفي أبو الحسن، من الطبقة الثالثة، من الوسطى من التابعين.

(٣) عقلاء المجانين.

(٤) بستان الواعظين ورياض السامعين لابن الجوزي.

(٥) هو ابن وهيب بهلول بن عمرو بن المغيرة الصيرفي، من عقلاء=

باكراً فقلت: يا بهلول كيف أصبحت؟ قال: بخير، أنتظر لقاء من يوجب الأجر، ويحط الوزر، ويشد الأزر، ثم قال لي: يا عبد العزيز أحسن مجاورة النعم بالشكر عند الرخاء، والصبر عند البلاء[1].

بالشكر تدوم النِعم، وبالصبر نتجاوز النِقم، والعبد بحاجة إلى الشكر في جميع الأحوال، بالقلب واللسان والجوارح، قال تعالى ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾.

وعن مطرف بن عبد الله قال: لأَنْ أُعَافَى فَأَشْكُرَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أُبْتَلَى فَأَصْبِرَ، نَظَرْتُ فِي الْعَافِيَةِ، فَوَجَدْتُ فِيهَا خَيْرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ[2].

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا ذهب الصبر ذهب الإيمان[3].

=المجانين، له أخبار ونوادر وشعر، وكان جامعا للخصال الحميدة، كان جميل الخلقة فكها، التقى به الرشيد في الكوفة وأعجب به وجعله من بعض خاصته ليسمع نوادره، وكان يرفض منح الرشيد له وجوائزه، توفي سنة ١٩٠هـ.

(١) غرر الخصائص الواضحة.

(٢) شعب الإيمان للبيهقي.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة.

وبعد... نسأل الله الكريم المتفضل على عباده بالنعم التي لاتحصى أن يجعلنا من خاصة أوليائه، المقتفين لسنة نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم والسالكين دربه، ودرب أصحابه، الحمد لله رب العالمين.

* * *